



د. صدقه يحيى فاضل •

القوة الناعمة

تظل «قوة» الدولة - أي دولة - «الخشنة»، أو الصلبة، أو الأساسية (Hard Power) متركزة أساساً على «العناصر» التالية:

١- نوعية وكم السكان، ٢- الموقع الجغرافي والواقع الطبوغرافي، ٣- الموارد الطبيعية، ٤- قدرات السكان التقنية والصناعية، ٥- الإمكانيات العسكرية... إضافة إلى أهم هذه العناصر، وهي: نظام حكمها وإدارتها (النظام السياسي). وعند محاولة «قياس» مدى قوة أي دولة، على الساحة الدولية (ونسبة لأقرانها) تؤخذ هذه العناصر الستة في الحسبان الأول، أساساً وأصلاً... باعتبارها تكون (مجتمعة) ما يسمى بـ «القوة الخشنة» للدولة، أو قوتها الصلبة أو المادية، الأساسية. وبناء على مدى قوتها (في العناصر الستة، المشار إليها) تصنف الدول على «سلم القوة الدولية» تنازلياً (حسب الأهمية) إلى سبع فئات، هي كالتالي:

١- الدولة العظمى (القطب) ٢- الدولة الكبرى ٣- الدولة الكبيرة ٤- الدولة المتوسطة ٥- الدولة الصغيرة ٦- الدولة الصغرى ٧- الدولية. وبحيث يمكن تحديد «مكانة» كل دولة في العالم، على هذا الأساس. ولا شك أن «نفوذ» الدولة - أي دولة - ومدى قدرتها على تحقيق أهداف سياساتها، يعتمد على: مدى قوتها، وموقعها على «سلم القوة الدولية». فكلما علا هذا الموقع كانت القدرة أكبر، والعكس صحيح. ودائماً ما يكون للدولة العظمى النفوذ الأقوى، والتأثير الأوسع في مجريات العلاقات الدولية في وقتها.

xxxx

ومع ذلك، تظل هناك أيضاً «عناصر» متفرعة أخرى لـ «القوة»... وإن كانت أقل أهمية، من عناصر القوة الصلبة المذكورة أعلاه. فبالإضافة إلى «القوة الخشنة»، هناك «قوى» أخرى، هي:

أ- «القوة الناعمة» (Soft Power): وهي عبارة عن: اصطلاح سياسي يستعمل الآن للإشارة إلى: أن للدولة - أي دولة - قوة معنوية وروحية... تتجسد في: ما تطرحه وتقدمه من قيم وعقائد ومبادئ وأساليب إنسانية حضارية، وثقافة وأدب وفن، ومساعدات اقتصادية وإنسانية واجتماعية... تلقى - من قبل الآخرين - الرضا والاستحسان والتقدير، ومن ثم الدعم والتأييد، لمصادرها.

ب- التأييد الدولي: المستمد من صداقات وتحالفات دولية معينة، أو يمكن تعيينها.

ج- الرضا الشعبي والتماسك (الانصهار) الوطني للدولة المعنية.

وفي الواقع، فإن كل من القوى الثلاث الأخيرة (المتفرعة) يمكن إدراجها ضمن عناصر «القوة الصلبة» المشار إليها. فـ «القوة الناعمة» يمكن اعتبارها ضمن عنصر «السكان»... باعتبار أن «الحضارة» هي - بصفة عامة - ناتج إنساني. أما كل من «التأييد الدولي» (الصداقات والتحالفات) والرضا الشعبي (الوطني) فيمكن - بالطبع - إدراجهما ضمن عنصر «النظام السياسي». وهذا يوضح أن كل هذه العناصر متداخلة، ومتراصة... وتشكل مجتمعة «خلطة واحدة» - إن صح التعبير - تجسد: مكانة ووضوح بلد معين في وقت من الزمان معين.

وحقيقة، فإن أهم ما يحدد وضع (ومكانة) أي دولة - في أي وقت - هو: أولاً: عناصر "القوة الصلبة"، ثم القوة الناعمة، ثم ما يليها من قوى - ذكرت آنفاً. ولكن لـ "القوة الناعمة" تأثيراً كاسحاً... يضارع أحياناً، وفي بعض الحالات الكثيرة، أثر وتأثير القوة الخشنة، وغيرها. ولا تكتمل قوة أي دولة، ويستتب وضعها، على الساحة الدولية (على أي حال) إلا بتوفر قدر (معقول) من "القوة"، بأنواعها وعناصرها المختلفة، وبشقيها المادي (الخشن/الصلب) والمعنوي (الناعم/الرخو).

ففي المدى الطويل، لا يمكن لأي دولة أن تستمر قوية، مرهوبة الجانب، محترمة التوجه، إلا إذا كان لها - إضافة إلى أنواع القوة الأخرى - قوة ناعمة... بمضمون وقدر مناسبين. ولعل أهم عناصر القوة الناعمة، هي - من بين بقية المكونات - العقائد والقيم والمبادئ السامية، التي يقدرها ويحترمها غالبية البشر الأسوياء، في كل زمان ومكان، وفي مقدمتها مبادئ: الحرية والعدالة والمساواة، والديمقراطية، والتكافل الاجتماعي... وغير ذلك. ولا تفوق أهمية هذه العناصر سوى الالتزام بتطبيق هذه المبادئ والقيم بحق، وبالفعل. فالتلاعب بها، أو الادعاء بالتمسك بها، والتمويه بشأنها، له نتائج عكسية تماماً، على الدولة المدعية، أو المتلاعبة.

ويمكن، في الواقع، اعتبار أن: تأييد (ورضا) الناس والرأي العام للدولة - أي دولة - فيما يتعلق بعناصر القوة الناعمة، يعطي الدولة قوة ونفوذاً... بينما سخط (ومعارضة) الناس والرأي العام، لدولة معينة في هذا الشأن، ينقص من قدرها، ويهز مكانتها، ويضعف موقفها... لهذا، فإن على الدولة التي تريد حقاً حماية وتنمية "قوتها"، أن تحمي وتنمي قوتها الصلبة، والناعمة كذلك، وتحرص على كسب التأييد الشعبي، وتحاول جهدها الحصول على أكبر قدر ممكن من التأييد الدولي الإيجابي، وأن تتجنب العداوات، بأنواعها.

xxxx

ولعل من أفضل وأوضح "الأمثلة"، التي تشرح ما ذكرنا: ما كان لصر من نفوذ واسع في العالم العربي... بسبب ما كان يتوافر لديها من قوة ناعمة، في العقود الخامس والسادس والسابع من القرن الماضي. وما عانت منه أقوى دول العالم، في عهد إدارة الرئيس السابق بوش الابن بخاصة، وهي الولايات المتحدة، من "ضعف" ملحوظ في قوتها الناعمة... فهذه الدولة، التي تمتلك الآن أقوى "قوة خشنة" في العالم، افتقرت - وما زالت، بسبب بعض سياساتها السلبية - لتأييد (ورضا) معظم الرأي العام العالمي، وبخاصة في العالمين العربي والإسلامي، لعدم التزامها الحقيقي بالمبادئ السامية... حتى تلك التي تدعي حمايتها.

لقد خرجت أمريكا من الحرب العالمية الثانية بزخم كبير من القوة الناعمة... سرعان ما بدأت تفقد معظمه، عندما شرعت في تحقيق أهداف غير مقبولة... كما هو معروف عن السياسات الأمريكية... الناجمة عن: هيمنة الحركة الصهيونية (وبعض أصحاب المصالح الخاصة) على صناعة القرار السياسي الأمريكي. والنتيجة كانت - وما تزال - رفض ومعارضة أغلب مثقفي ومفكري العالم لهذه السياسة، وللدولة التي تمارسها.

ولا شك أن هذه الحقيقة أكدت وجود تدهور في القوة الناعمة الأمريكية... وأضعفت (بالتالي) الموقف العالمي العام لأمريكا... رغم صلابتها وقوتها الخشنة. وهذا ما قاله - صراحة وضمناً - المفكر الأمريكي "فرانيس فوكوياما"، في كتاب أصدره في مارس ٢٠٠٦م - بعنوان "أمريكا في مفترق طرق"، عن مطبعة "جامعة ييل"، وغير فوكوياما من المفكرين الأمريكيين. ولكن هناك تفاوتاً بأن نتجج إدارة الرئيس الحالي باراك أوباما في استعادة قدر كبير من القوة الناعمة الأمريكية التي اقتطعتها أمريكا، على المستويين الإقليمي والعالمي، خاصة في عهد الإدارة الأمريكية السابقة لها.

أما بالنسبة لبلادنا العريضة، المملكة العربية السعودية، فإنها - وباعتبار إمكاناتها المختلفة - تحسب كـ "دولة متوسطة" على المستوى العالمي، و"كبيرة" على المستوى الإقليمي. وتمتلك المملكة قدراً هائلاً ونبيلاً من القوة الناعمة... متمثلاً في: كون هذه البلاد الطاهرة موئل الإسلام، ومهد العروبة، وكون أراضيها تضم الحرمين الشريفين... قبلة المسلمين، ومثوى خاتم الأنبياء والمرسلين. وهي محط أنظار أكثر من سدس سكان الأرض، ومهوى أفتدتهم المؤمنة.

وهذه "المكانة" الرائعة أراها تتكسر يوماً بعد يوم... بفضل من الله، ثم بفضل القيادة الرشيدة لهذه البلاد، وتقاني علمائها ومفكرها و مثقفيها ومواطنيها في السعي لجعل هذه البلاد "نموذجاً" في التمسك بالشرعية الإسلامية (الوسطية) الحققة، وفي اتخاذ سياسات (داخلية وخارجية) نزيهة وسامية... تتسق وهذه المكانة التي تحظى بها، دون سائر بلاد الدنيا.

• عضو مجلس الشورى